تُعدّ نظرية المباريات من إحدى النظريّات الاستراتيجيّة المهمّة لاتّخاذ القرارات في مواقف النّزاعات أو الصّراعات الدّوليّة، إنّ هدفها هو ترشيد الإختيار من بين البدائل المختلفة التي تفرزها هذه المواقف الصّراعيّة، وتُعالج كل صراعات المصالح سواء كان الصراع سياسي بشكل عام أو الصراعات التي تتعلق بالسّلم والحرب بشكل خاص. فماهي نظرية المباريات؟ وماهي أنواعها وأسسها؟ إليكم المقال التالي.

عُرفت نظرية المباريات لأوّل مرّة في عام 1944 عندما نشر "أوسكار مورجنسترن" و"جون نيومان كتابهما "نظرية المباريات والسّلوك الإقتصادي"، ثمّ وجدت هذه النّظرية تطبيقاً واسعاً لها في الأمور المتعلّقة بالإستراتيجيّة والسّياسات الدّفاعية والتّحليل الإقتصادي.

عرفها "مارتن شوبيك" بقوله إنها: طريقة رياضية لدراسة بعض جوانب عملية إتخاذ القرارات ولاسيما في المواقف التي تغلب عليها صفة الصّراع أو التعاون. ومن هذا التعريف يمكننا القول إنّ جوهر نظريّة المباريات يقوم على إفتراضٍ مفاده وجود مجموعة من متخذي القرارات الذين تتداخل أهدافهم والتي يسعون لتحقيقها، حيث يتوفر لكلّ واحدٍ منهم بعض السّيطرة الجّزئيّة أو المحدودة على الموقف الذي يتعاملون جميعاً معه. فهذه النّظريّة لا تفترض فوز طرف بالكامل مقابل خسارة الطّرف الآخر فحسب، بل قد تنتهي المباراة بحدوث نوعٍ من التّعاون بين الطّرفين بحيث يتمّ تفادي الخسارة المطلقة.

ومن هنا كان القول بنوعين من الصّراعات أو المباريات:

• تنافسيّة(صفرية)، بالنّسبة لهذه الصّراعات فإنّ الكسب الّذي يحققه أحدهما، يمثّل في الوقت نفسه خسارة للطّرف الآخر. ولو افترضنا أنّ طرفاً ما حقق إنتصاراً ثمّ مُنّي بهزيمة أو بخسارة، فإنّ الحصيلة النّهائية تكون صفرًا في مجموعها.

• أمّا بالنّسبة للصّراعات غير التّنافسية (الغير صفرية)، فإنّ مصالح أطرافها لا تكون متعارضة بالصّورة السّابقة نفسها، وإنّما تتداخل إلى حدّ يسمح بالمساومة وتقديم التّنازلات المتبادلة للوصول الى نقطة إتّفاق، مما يدفع أطراف تلك المواقف إلى تبنّي سياسة التّعاون بحيث تتوزّع نتائج المباراة بين الطّرفين.

وهناك من يضيف نوع ثالث لنتيجة المباراة وهي الكارثية، وفيها يتخاصم الطرفان بهدف تدمير الآخر وبالتالي يخسران كلاهما، كما هو الحال في الحروب النووية المدمرة.

ولكي تقوم هذه النظرية هناك شروط لابدّ من توافرها وهي، وجود لاعبين (طرفين) أو أكثر، ولكل منهما أهدافه وإمكانياته. وأيضا امتلاك كل لاعب استراتيجية خاصة في مواجهة استراتيجية خصمه. وهذا ضمن البيئة التي تتم فيها المباراة وبالتالي النتيجة النهائية. وعندما تتوفّر هذه الشّروط يصبح كل من الطّرفان على جاهزيّة لبدء المباراة.

وهناك عناصر لابد من تفاعلها سويّة لتشكّل المنهج الذي يخطوه كل طرف وهي بمثابة أسس هذه النظرية والتي تقوم على خمس عناصر أساسية وهي:

-الخيارات: تفترض هذه النظرية أنّ كلّ لاعب أو طرف، لديه مجموعة من البدائل يختار أحدها بصفة عقلانية، أي الخيار الّذي يتوقّع أن تكون نتائجه عالية الرّبح ومنخفضة الأضرار أو التّكاليف.

-الأهداف: هذا الأساس مرتبط بسابقه، حيث أنّ اختيار البديل قائم على طبيعة الأهداف الّتي يحددها اللاعب مسبقاً ويعمل على الوصول إليها، فالأهداف هي الّتي توجّه اللاعب نحو خيارٍ معين.

-العقلانية: على اعتبار أنّ كلّ لاعب يسلك الخيار الّذي يمكّنه من السّيطرة أو البقاء على قيد الحياة، فسلوك اللاعب ليس استجابة انفعاليّة بقدر ماهو تصرّف قائم على حساب الخسائر والأرباح لكلّ البدائل المطروحة أمامه وترجيح كفّة الخيار الّذي علت كفّة أرباحه على كفة أضراره.

-المنفعة: ترتبط عقلانية وأهداف اللاعب، بما يحاول أن يجنيه من هذه العملية فتُعتبر المنفعة هي المنطلق وهي الغاية من هذا الصراع.

-المعلومات: إنّ المظهر الحاسم لخصوصيّة المباراة هو توفير المعلومات، والتي تجعل اللاعبين يختارون استراتيجيتهم بدقة، فبمجرد توفرها يستطيع اللاعب أن يحدد موقفه من خصمه ومن سير المباراة.

إنّ اللجوء إلى نظريّة اللعبة في العلاقات بين الدّول تجنّب الدّول صراعات الحروب، وغالباً ما يلجأ صنّاع السّياسة إلى نظريّة الصّفر لأنّها أكثر فاعليّة في تجنّب الحروب ،ومع القليل من الحذق السّياسيّ والمهارة في اللعب يمكن تحويل هذا الموقف إلى جانب اللاصفر. إن استخدامها في العملية السياسية سوف تمكن السلطة من اتخاذ قراراتها بطريقة أكثر منطقية لأنها ستتمكن من تبسيط سياستها وتجعلها مهيمنة على الجميع، أي تصدر سياستها دون إعطاء أي اعتبار للمطالب العامة وهنا تكون نتائج صفرية. وكذلك تتساوم مع بعض القوى لتحقيق أهداف مشتركة على حساب أهداف قوى أخرى.

وعلى الرّغم من النّجاح الّذي حققته هذه النّظرية في مجال دراسات الحرب، فإنّ هناك تحفظاً بشأن قابليّة تطبيقها على دراسة الشّؤون الدوليّة، فمن جانب مازالت هناك بعض القضايا الكمّيّة التي لا يمكن إعطاؤها رموزاً حسابيّة، كالمعنويّات السّياسيّة لأمّة محاربة أو العقيدة السياسية أو الأيديولوجيا. وهذا ما تعرضت له من نقد فيما بعد خصوصا بعدما جرى من تعقيد وتشابك في العلاقات بين الدول.

المصادر:

د.اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، منشورات ذات السلاسل،الكويت، 1987

د.علي عودة العقابي، العلاقات الدولية- دراسة في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، 2010

مصدر الصورة:

http://www.1zoom.net/3D_Graphics/wallpaper/107670/z255.7/

المساهمون في المقال :

إعداد: Shourouk Kassas

تدقيق علمي: Dania Mulki

تعديل الصورة: Julie Yaco

صوت: Ibrahim Issa Al-amir